

الحلقة الخامسة والعشرون

سفر الجامعة

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بدراسة سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكد أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وقبض الريح.

وفي اللقاء الماضي تابع سليمان الحكيم الحديث عن مشورته العملية، فاعتبر أن سمع الانتهاز من الحكيم خير من غناء الجهال. وأن الظلم يجعل الحكيم أحق، والرشوة تفسد القلب. وأن نهاية أمر خير من بدايته. ودعانا لكي لا نُسرع بالغضب، لأن الغضب هو من صفات الجهال.

صديقي المستمع، كثيراً ما نسمع هذا التعبير: آه، كم كانت الأيام الماضية حلوة وجميلة، على عكس أيامنا الحالية التي لا نجد فيها خيراً، وهي مليئة بأخبار السوء. فماذا تدل هذه الأقوال عن قائلها؟ أجابنا سليمان الحكيم بأن قدّم لنا المشورة التالية: "لا تقل لماذا كانت الأيام الأولى خيراً من هذه. لأنه ليس عن حكمة تسأل عن هذا." (الجامعة ٧:١٠) أو بتعبير آخر: لأن سؤالك هذا لا ينم عن حكمة.

على الإنسان إذن أن يقبل ما يحدث له، وما يمر به من ظروف سيئة كانت أم جيدة. وأن لا يحاول مدح الماضي وذم الحاضر، لأن هذا ليس من الحكمة. إن الإنسان الحكيم هو الذي يعتبر من كل يوم يمر عليه. فيأخذ درساً من المحن والظروف الصعبة، ولا يتذمّر منها. وهو في نفس الوقت يشكر الله على الأوقات الجيدة. فالحكمة تعني تقييم الأمور بشكل صحيح، وعدم الإسراع في إطلاق الأحكام.

وتابع سليمان الحكيم شارحاً أهمية التحلي بالحكمة فقال: "الحكمة صالحة مثل الميراث، بل أفضل لناظري الشمس. أو (ذات منفعة للأحياء). لأن الذي في ظل الحكمة هو في ظل الفضة، وفضل المعرفة هو إن الحكمة تحيي أصحابها." (الجامعة ٧:١١-١٢) أو بتعبير آخر تحفظ حياة أصحابها.

قارن هنا سليمان الحكيم الحكمة بالميراث والفضة. فالميراث إن كان ثروة أم أملاكاً هو أمر جيد ويرغبه الجميع. وامتلاك الفضة هو من الأمور التي يسعى إليها الكثيرون. وكذلك الحكمة فهي مثل الميراث والفضة لها قيمة كبيرة، وعلى الجميع أن يسعى

لامتلاكها. إن للحكمة منافع وفوائد عملية عديدة. فهي علاوة عن كونها ثروة كبيرة، تساعد أصحابها على اتخاذ القرارات السليمة، وتحفظهم في مسيرة حياتهم اليومية. وهكذا تجنبهم السقوط في مزالق مؤذية. فهل تراك مستمعي تطلب من الله الحكمة الحقّة وتسعى لامتلاكها؟

تابع سليمان الحكيم مؤكداً سلطان الله على خليقته فكتب قائلاً: "انظر عمل الله من يقدر على تقويم ما قد عوّجه." (جامعة ٧:١٣) إن الله هو صاحب السلطان في عالمنا، وعلينا إذا كنا نريد أن نتحلّى بالحكمة أن نعترف بسلطان الله هذا، وأنا لا نستطيع عمل أي شيء يخالف إرادته. إن الله هو الذي يأمر، وهو الذي يبيّن ويهدم. كتب أيوب رجل الله قائلاً: "عنده الحكمة والقدرة. له المشورة والفتنة. هوذا يهدم فلا يُبنى. يغلق على إنسان فلا يُفتح." (أيوب ١٢:١٣ و١٤) أي أن الله هو الذي يسمح بالسرّاء والضراء. ولهذا علينا أن نقبل مشيئته في حياتنا ومهما كانت، فلا نتذمّر ونشكو.

أما النبي إشعياء فقد كتب قائلاً: "فإن رب الجنود قد قضى فمن يُبطل، ويده هي الممدودة فمن يرُدّها." (إشعياء ٤٤:٢٧) فعندما يقضى الله أمراً، لا نستطيع نحن كبشر أن نبذل أو نخالف قضاءه. لكن الله هو نفسه الإله الذي يمد يده للرحمة والاحسان، ولهذا علينا أن نتجاوب معه. وكتطبيق عملي لهذه الحقيقة الهامة، أضاف الحكيم قائلاً: "في يوم الخير كن بخير، وفي يوم الشر اعتبر. إن الله جعل هذا مع ذلك لكيلا يجد الإنسان شيئاً بعده." (الجامعة ٧:١٤) على الإنسان إذن أن يُسر في يوم الخير ويشكر الله عليه. لكن عليه عندما يمر بمصيبة ما، أن يتخذ منها العبر لحياته.

هل تعلم مستمعي ما هو الموقف الذي نتخذه عادة إزاء وقت النجاح والخير أو وقت الشدة؟ إننا مع الأسف عندما ننجح في عمل ما، أو نحقق إنجازاً معيناً، تُرانا نعيد الفضل لأنفسنا. بينما عندما نقع في أزمة ما، أو نمر في وقت الضيق، نلوم الله والآخرين، ونبدأ بالشكوى والتذمّر. إن المطلوب منّا إذن أن لا نسمح للكبرياء أن تستولي على نفوسنا عندما ننجح وننال الخير. وفي نفس الوقت علينا أن لا نياس في وقت الضيق، بل نشكر الله على الخير الذي قد ينتج عنه. وأن نعلم أن الله هو المسيطر وصاحب السلطان، وهو الذي سيقود حياتنا لما فيه الخير لنا.

كتب الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل إلى المؤمنين بالمسيح قائلاً: "لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله. وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع." (رسالة فيلبي ٤:٦ و٧) إن الله يريد منّا كبشر أن نضع الثقة الكاملة به، وأن لا نقلق أو نخاف عندما نمر بظروف صعبة. بل على العكس

أن نشكره على كل الظروف والأحوال، وأن نقدم طلباتنا أمامه عن طريق الصلاة. وعندها يملأ الله سلامه العجيب في قلوبنا، ويجعلنا نفهم ما يريد أن يعلمنا إياه من خلال هذه التجارب الصعبة.

مستمعي الكريم، هل تثق بالله ثقة كاملة؟ وهل تعترف بسيادته على حياتك؟ إنك لن تستطيع ذلك إذا لم تأت إليه تائباً عن ذنوبك، ومؤمناً بالمخلص المسيح الذي وحده يقدر أن يهبك الغفران الكامل، ويجعلك من أولاد الله. وعندها يصبح بإمكانك أن تثق بالله وتعترف بسيادته على حياتك.

هل تمر صديقي بظروف صعبة؟ وهل تعاني من محنة مؤلمة؟ أنت بحاجة أن تسلّم حياتك لله، وأن تُخضعها لإرادته. وعندئذ يجعلك تعترف بسلطانه عليك، ويمتّعك بسلامه العجيب الذي يسود قلبك. وتغدو إنساناً حكيماً تستطيع أن تأخذ القرار السليم في كل ظروف حياتك.